

أضواء البيان

. . @ 493 @

وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه بيان هذه الآية عند قوله تعالى : { خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ } ، في سورة النحل ، وفي سورة الواقعة عند قوله تعالى : {
أَفَرَأَيْتُمْ مَاءَ تُمْذُوقُونَ * أَمْ لَكُمْ تَخْلُقُونَهُ * أَمْ لَكُمْ أَلْحَالِقُونَ }
، وتقدمت الإشارة إليه عند قوله تعالى : { إِنْ زُلْزِلَا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ
أَمْ شَجَاجٍ } ، في سورة الدهر . { إِنْ زُلْزِلَا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ } . (إنه) هنا أي
إن الله على رجه ، الضمير فيه ، قيل : راجع للماء الدافق ، أي أنه سبحانه قادر على رجع
هذا الماء من حيث خرج ، كرد اللبن إلى الضرع مثلاً ، ورد الطفل إلى الرحم ، وهذا مروى
عن عكرمة ومجاهد . .

وقيل : على رجع الإنسان بعد الموت ، وهذا وإن كان في الأول دلالة على القدرة ، ولا يقدر
عليه إلا الله ، إلا أن في السياق ما يدل على أن المراد ، هو الثاني لعدة أمور : .
الأول : أن رد الماء لم يتعلق به حكم ولا أمر آخر سوى إثبات القدرة بخلاف رجع الإنسان بعد
الموت ، فهو قضية الإيمان بالبعث . ويتعلق به كل أحكام يوم القيامة . .
الثاني : مجيء القرآن بالخلق الأول ، دليل على إعادة بعد الموت ، كقوله تعالى في يس :
{ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ } أي من ماء دافق { قَالَ مَنْ يُحْيِي
الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } ، أي
من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . .

الثالث : أن الأول يحتاج معه إلى تقدير عامل ليوم تبلى السرائر ، نحو اذكر مثلاً بخلاف
الثاني ، فإن العامل فيه : هو لقادر ، أي لقادر على رجه يوم تبلى السرائر . .
ونقل أبو حيان عن ابن عطية قوله : وكل من خالف ذلك إنما فر من أن يكون (لقادر) هو
العامل في الطرف ، لأنه يوهم أن قدرته على رجه مقيدة بذلك . ولكن بتأمل أسلوب العرب
يعلم جوازه ، لأنه قال : { إِنْ زُلْزِلَا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ } على الإطلاق أولاً وآخرًا ،
وفي كل وقت ثم ذكر تعالى : وخصص من الأوقات الوقت الأهم